

شكري عرّاف المؤرّخ

محَمَّد عبد الرّؤوف محاميد*

لقد أدركت الحركة الصّهيونيّة منذ نشوئها، أنّ إقامة دولة عبريّة في فلسطين، يحتم عليها السّعي في طمس الهويّة الفلسطينيّة، وإخفاء معالمها الأثريّة، والجغرافيّة، والتّاريخيّة. وبناء روايتها التّاريخيّة الّتي تعتمد على التّوراة، وتتخلّص: بأنّ لهم الحقّ التّاريخيّ على أرض فلسطين، الّتي اعتبروها أرضاً بلا شعب، وعرّفوا أنفسهم على أنّهم هم شعب بلا أرض.

وسقطت فلسطين، وبقيت بلا رواية، لعدّة عقود إلى أن جاء بعض رواد التّاريخ، ليعيدوا كتابته، وإظهار الحقائق الدّامغة، الّتي تفنّد الأكذوبة الصّهيونيّة، "ولم يمض وقت قصير حتّى انبرى الغيورون على هذا الأمر ببحث وتأليف كتب عن قراهم وبلداتهم ككتاب عن قرية (بركا) للأخ الدّكتور علي صغير، وكتاب عن قرية (جثّ الجليل) المرّيّ الأخ والصّديق الدّكتور رجا فرج وزميله المرّيّ المرحوم حمد سيف. وكتاب عن قرية كسرى وكفر-سميع وقرية معليا للعلّامة والباحث الأب والأخ الدّكتور شكري عرّاف.. وكتاب عن قرية (جولس) للأخ والصّديق سعيد نبواني عاشق التّراث وصاحب بيت التّراث الدُّرزي الّذي له الباع الطّويل في تأليف كتب جاءت لتحفظ وتحافظ على تراثنا العربيّ من الضّياع.. وسبق أن صدر كتاب عن دالية الكرمل، وهناك العديد من الكتب الّتي صدرت عن قرانا العربيّة كالكتاب عن قرية (المشهد) وقرانا المهجرّة في الوطن للصّديق والأخ الدّكتور جميل عرفات.. وآخر صدر قديماً عن مدينة (النّاصرة) للقسيّ أسعد منصور وكتب أخرى عن طرعان وإكسال، وغيرها العديد الّتي سبق وصدرت كموسوعة (بلادنا فلسطين) للدّبّاغ (ومعجم بلدان فلسطين) لمحمّد حسن شراب، وغيرهم من الباحثين داخل الوطن وخارجه... كلّها

* باحث ومدريّس - أم الفحم.

ظهرت للنُّور من ذات المنطلق.. ألا وهو حبُّ الوطن والتَّوثيق لوجودنا في ديارنا، الَّذِي يحاول البعض طمسه بشتَّى الوسائل "مالك صلالحة، الثلاثاء 2013/10/29). واجتهد العديد غير هؤلاء، وعلى رأس هؤلاء وأولئك يندرج اسم الدُّكتور شكري نخلة عرَّاف. الَّذِي وصلت مؤلَّفاته العشرات، وما زال ينهل في البحث عن التُّراث الفلسطيني، والرِّواية الفلسطينيَّة.

شكري نخلة عرَّاف باحث موسوعيٌّ فلسطينيٌّ مستقلٌّ، ولد في قرية معليا الواقعة في الجليل الأعلى، في 20 كانون الثَّاني من عام 1931.

أنهى دراسته الابتدائيَّة في قريته، ثمَّ تابع الدراسة الثَّانوية في عكَّا. ثمَّ حصل على شهادة البكالوريوس من جامعة حيفا بموضوعي اللُّغة العربيَّة والجغرافيا، وتابع دراسته في نفس الجامعة ليحصل على شهادة الماجستير في موضوع تاريخ الشَّرق الأوسط، وفي عام 1985 وهو في الرَّابعة والخمسين من عمره، نال شهادة الدُّكتوراة بموضوع تاريخ الشَّرق الأوسط من الجامعة العبريَّة في القدس.

عمل مدرِّسًا ومديرًا لمدرسة، ومرشدًا تربويًّا في الكليَّة العربيَّة للمعلِّمين في حيفا. ومحاضرًا في جامعة حيفا وفروعها، وفي كليَّة أورانيم، وفي معهد أبحاث لمعالم البلاد في تل-أبيب.

عرَّاف متزوِّج من روزا ابنة بلده، وهو "يثنِّي... على زوجته روزا الَّتِي تفهَّمت طبيعته منذ البداية، وتقبَّلت شغفه بالكتب والأبحاث والرَّحلات الاستكشافيَّة الَّتِي حتَّى اليوم قاد منها ما يزيد عن 2000 رحلة. يضحك وهو يردِّد مقولة زوجته لإحدى صحف الدَّاخِل: "من تزوِّج شكري عرَّاف، فعليها تحمُّل النَّتائج" (رَبِّي عنبتاوي، 2012، 2).

في كتاب الأَرْض والإنسان والجهد الصَّفحة الثَّانية كتب: "إلى زوجتي الَّتِي حاولت نقل حضارتنا القرويَّة إلى رَعيلنا الثَّاني والثَّالث" وحسب تصوُّره، أنَّها تستحقُّ هذا

التقدير لأنّها ساعدته كثيرًا، وكانت تسافر معه للضّفّة الغربيّة ولقطاع غزّة ولكلّ مكان، وعندما زارا القرى كانت هناك مجالس للنساء ومجالس للرجال، فكانت حصّتها في العمل بين القطاع النّسائيّ، وهو بين القطاع الرّجاليّ، وفيما بعد كانا يجتمعان لجمع ما سمعاه ويكتبانه.

يعرّف شكري عراف نفسه على أنّه فلاح، وقد عاش في بيئة زراعيّة، وشارك في صغره وشبابه عائلته في زراعة العديد من المنتجات الرّزاعيّة، التي كانت شائعة بفلسطين مثل: "القمح والشّعير والكرستّة والعدس والفول والحُمص والرّعتر والرّيّتون، وحتّى التّبغ (ربى عنبتاوي، 2012، 1). وقد اعتمد الفلاح الفلسطينيّ آنذاك الفلاحة بالأدوات التّقليديّة لحراثة الأرض وزراعتها. إلّا أنّ مصادرة الأرض على يد السّلطة الإسرائيليّة وقفت حائلًا بين استمرار الفلاح الفلسطينيّ وزراعة أرضه. إلّا أنّ الدّكتور شكري عراف الفلاح ما زال يؤمّ ما تبقى له من أرض (وتقدّر بثلاثة دونمات) يوميًا، وكلّ صباح، "فيتفقد أشجار الرّيّتون والفاكهة والأعشاب الطّيّبة". (ربى عنبتاوي، 2012، 1). يهدي الباحث كتابه "الأرض والإنسان والجهد" إلى أبيه الفلاح والعمل وإلى أمّه رفيقة دربه الطّويل في الأرض "وإلى كلّ أبٍ وأمٍّ جبلوا أرضنا بعرقهم متعاونين وإياها في سبيل خلق أنماط الحياة".

لقد وجد شكري عراف في التّراث مادّته الخصبة للبحث والتّمحيص، لأنّه كما يقول "إنّني أعشق هذه الأرض التي كلّ حبة تراب فيها تحمل تاريخًا مجيدًا نتباهى ونفتخر به، ولذلك فإنّ اهتمامي هو في الجانب التّاريخيّ والحضاريّ والإنسانيّ" (موقع العرب وصحيفة كلّ العرب، 2010).

ويعرّف ب. فاروق مواسي التّراث على أنّه: "التّراث، فعلُهُ (ورث)، فهو ما نرثه عن السّابقين والمعاصرين، ومع أنّ الفعل يتركّز على الانتقال بعد موت الموروث، إلّا أنّه في المجاز اللّغويّ يصحُّ أن يكون كلّ امتلاك بعد الموروث حيًّا أو ميتًّا. ولمّا كنّا نعرف

أنَّ قواعد اللُّغة مثلاً هي للإملاء والنَّحو والصَّرْف والأصوات والبلاغة... إلخ، إلَّا أنَّنا قصرنا المعنى على النَّحو والصَّرْف، فهكذا فإنَّ التُّراث هو معنًى عامٌّ، ولكنَّا نقصره على الأثر الَّذي نعايشه وتوارثناه عن آبائنا، وخاصَّة الشَّعبيِّ منه من فولكلور وعادات. (إدريس جرادات، 2012/1/17).

بادرد. شكري عرَّاف لإنشاء مركز للدراسات القروية، ويشغل منصب الرئيس له، ويقوم مركز الدراسات القروية بنشاطات، ودعم ثقافيٍّ وتوثيق المعلومات في مخلف النَّواحي التَّقافيَّة والماديَّة والإصدارات الهامَّة. يعزو عرَّاف نشاطه الدَّووب في توثيق الميراث الفلسطينيِّ إلى سببين "الأوَّل: الرَّغبة في تحديِّ الإسرائيليِّين وتفنيدهم أكاديميًّا التي يعلمونها لأبنائهم وأكبرها: "مقولة أرض بلا شعب لشعب بلا أرض". أمَّا التَّحديِّ الثاني فكان التَّمرد على جهل الطَّلبة نتيجة جهل معلِّمهم بتاريخ بلادهم، فكان يكتب وبهم ليثقف ويعزِّز المواطنين بهويَّة وتاريخ شعبيهم المتوارثة منذ آلاف السنين (رى عنبتاوي، 2012). وهو وإن كان يرى بالمعلِّم "وكيل تعليم" إلَّا أنَّه يدرك جهل المعلِّمين الَّذين لا يجدون المصادر التي توثق الرِّواية الفلسطينيَّة، و"إذا كان المعلِّم جاهلاً فشعبي جاهل" (رفيق بكري، 2009). عرَّاف لا يلوم المعلِّمين فيما آلت إليه حالهم من جهل في أمور الرِّواية الفلسطينيَّة، لأنَّه يدرك أنَّ المؤسَّسة الإسرائيليَّة هي التي تضع برامج التَّعليم للمدارس العربيَّة، وهو يصفها على أنَّها، "إنَّ جهاز التَّعليم هو أخطر جهاز في الدَّولة.. كان لا يقبل أي معلِّم أو مدير إلَّا إذا رضي الشَّيخ بيت عنه، هذا النَّهج موجود حتَّى هذا اليوم، وأنا أعني ما أقول، جهاز التَّربية والتَّعليم هو أخطر جهاز بالدَّولة لأنَّ عليه سيطرة مطلقة بما في ذلك المنهاج". (رفيق بكري، 2009).

فهو مدرك أيضاً أنَّ المؤسَّسة الحاكمة تقوم بإخفاء المعالم الفلسطينيَّة، لمحوها من الدَّاكرة الفلسطينيَّة، وبناء ذاكرة ذات واقع جديد، يستقرُّ في أذهان الأجيال الفلسطينيَّة القادمة، سواء على مستوى الأماكن، أسمائها، ومواقعها، وانتهاءً بمحو

اللغة العربية. وهو يضرب مثلاً على ذلك بقوله: "هناك أخطاء شائعة ونسيان للغتنا العربية الجميلة.. نسمع مثلاً شخصاً يرتب للقاء صديقه فيقول: "لاقيني على تُسومِتْ جولاني.. وَلَكْ يا عَمِّي شو هاي تُسومِتْ جولاني.. برجع ويقول: عند المجدونالدز... ضايعين إحنا يا عَمِّي لأننا نسينا إنو تُسومِتْ جولاني كانت (مفرق مَسْكَنَة)، يا سَيِّدي العزيز نحن نجهل ذواتنا... وهنا يجب التأكيد على إيصال هذه الذّاكرة إلى الجيل الثالث البعيد كل البعد عن التّمسُّك بالوطن والبيت والمسكن. هذا الجيل لا يعرف عن التّكبة! إلا إذا كان الشّخص هو ابن لاجئ، مع ذلك لا يعرفون كفاية عن بلدهم ومسقط رأسهم، فيجب الاهتمام بالتّوعية والذّاكرة الجماعيّة". (رفيق بكري، 2009).

مؤلفاته:

- 2006- زمكانيّة المسيحيّة في الأراضي المقدّسة"، مركز الدّراسات القرويّة.
2004-المواقع الجغرافيّة في فلسطين؛ الأسماء العربيّة والتّسميات العبريّة، ترجمة وتحقيق: إلياس شوفاني، مؤسّسة الدّراسات الفلسطينيّة في بيروت - بيروت.
1997- مصادر الاقتصاد الفلسطينيّ من أقدم العصور حتّى أواخر فترة الانتداب البريطاني على فلسطين.
1996- الأمثال الشّعبيّة بين المتحفّيّة والاستمراريّة،
1995- الشّجرة إسلامياً وعربيّاً،
1993- طبقات الأنبياء والأولياء الصّالحين في الأرض المقدّسة.
1992- المواقع الفلسطينيّة بين عهدين - خريطين.
1990- جندا فلسطين والأردن في الأدب الجغرافيّ الإسلاميّ.
1986- القرية العربيّة الفلسطينيّة، القدس.
1986- فلسطين في الأدب الجغرافيّ الإسلاميّ، القدس.

- 1982- دراسة في جغرافية المدن ومدن التطوير في إسرائيل، الناصرة.
- 1982- الأرض والإنسان والجهد.
- 1976- السهل الساحلي الغربي في القرن التاسع عشر، بالعبرية.
- جناح الإنسان وعمله.
 - الخبز في الوسط العربي.
 - المرشد في الموضوع الشامل – لمعلمات الصُفوف الدُّنيا.
 - مساهمة في دراسة نباتات البلاد – مجموعتان تتألف كلُّ منهما من 64 نبتة وشجرة بالألوان الطبيعيَّة.
 - بدو مرج ابن عامر، والجليلين بين الماضي والحاضر.
 - 200 سنة على وفاة أحمد باشا الجزائر، 200 سنة على وفاة عقيلي آغا الحاسي.
 - شكيب أرسلان – في أعقاب يوم دراسيِّ عقد في أكثر من موقع.
 - المعلم كمال جنبلاط- في أعقاب يوم دراسيِّ عقد في أكثر من موقع.
 - مشاركة في موسوعة عبرية (مابا).
 - مونوغرافية للقري: فسُوطَة، كسرى، كفر سميع، كفر قرع، معليا.
 - إعداد للمواضيع التالية: تاريخ الجوامع في فلسطين، فترة اللُجُوء الفلسطينيّ بين شهر نيسان 1948 وشهر تشرين الثاني من نفس العام/الشّتات الدّاخليّ.
 - تاريخ الخانات في فلسطين.
 - أسماء المواقع الجغرافيَّة الفلسطينيَّة عبر العصور التاريخيَّة.
 - الاستيطان العبري في فلسطين منذ عام 1878- كلُّ المستوطنات.
- مساقات أكاديميَّة: الجغرافيون المسلمون ودورهم في تاريخ فلسطين وبلاد الشّام، القرية العربيَّة الفلسطينيَّة-تاريخ وتطوُّر، تاريخ الأدب العربيّ، الحضارة الماديَّة

للشعب الفلسطيني، الحضارة العربية والإسلامية-عبر الفترات التاريخية، الإسلام والمسيحية للمرشدين السِّيَاحِيِّين.

جولة في بعض مؤلفاته:

كتاب (المواقع الجغرافية في فلسطين - الأسماء العربية والتسميات العبرية). تم إصدار الكتاب من قبل "مؤسسة الدراسات الفلسطينية في بيروت" بتمويل الشيخ أحمد زكي اليماني وزير النفط السعودي سابقاً... بعد عام 1952، أخذ د. شكري عراف بمتابعة تغيير الأسماء العربية للأماكن الفلسطينية إلى اللغة العبرية، وذلك لأن "إسرائيل حاولت من قبل قيامها وما زالت تعمل على التطهير العرقي، وبقي عليها أن تحاول تكملة برنامجها هذا في الضقة، بعد أن نجحت في ذلك هنا. نجحت في ذلك من خلال مصادرة الأسماء العربية في كتبها وموسوعاتها وفي صحافتها على اختلاف أنماطها، يعني لا يوجد اليوم أي كتاب عبري تعليمي أو غير تعليمي يذكر أي اسم عربي" (رفيق بكري، 2009). ويشمل هذا المصنف اثنين وخمسين باباً، إضافة إلى المقدمة، المراجع وقائمة بالتسميات العبرية. وهو يعطي الاسم العربي ثم شرحاً عنه، وتسميته بالعبرية ويكتب اسمه العربي بالإنجليزية "تجد مثلاً زاوية (الجبال)، الاسم العربي للموقع، اسم الجبل بالعربية وبالإنجليزية، وحتّى ما أسماه اليهود فيما بعد باللغة العبرية، ثمّ الإحداثيات (خطّ الطول وخطّ العرض) إلى أين يمتدّ؟ ومعلومات شاملة عن هذا الجبل من كلّ النواحي.. في هذا الكتاب شرح مفصّل عن الشوارع وعن الخرب، والقرى والمدن والمغاور والصخور وكلّ ما تريده عن البلاد وتضاريسها... كلّ هذه المواقع قامت إسرائيل بتغيير أسمائها ومصادرتها إلى العبرية. أنا تحدّث عن واقع تاريخيٍّ مُعاش.. ما حدث في هذا الوطن لم يحدث في العالم كلّهُ... وأنا أسأل هنا الإسرائيليين: لماذا غيرتم كلّ الأسماء العربية؟ أتريدون محو كلّ شيء؟!.. في هذا الكتاب أحاول أن أكشف وأفضح النيّة التي لا تزال مبيّنة لنا... أبسط شيء

أعطيك إِيَّاه اسم (جبل الجرمق) الَّذِي أصبح (هازُ ميرون)، ووادي العامود أصبح (ناحلُ عَمودُ).. وبحيرة طبريَّا أصبحت (الكنيرتُ)... أمَّا بالنِّسبة للبحر المتوسِّط، فاليوم صدرت خريطة من شخص يسمَّى بمدير دائرة الخرائط في إسرائيل، ترى كلَّ الأسماء الموجودة في قلب الخريطة المعلقة باللُّغة العبريَّة، يعني لا يوجد كلمة (البحر الأبيض المتوسِّط) يوجد بدلاً منها (هَيامُ هَتِيخون بالأحرف العبريَّة)، هذا خطير جدًّا، وأقول بصراحة لقد تحدّثت قبل يومين فقط في اجتماع في كوكب أبو الهيجاء، أنّه يجب وضع الكتاب الَّذِي أصدرته عن كوكب في كلِّ مكتبة عامَّة من المكتبات في القرى العبريَّة، لكي نوجِد ونحقِّق الجُغرافيا رقم 2 الَّتِي تُناقضُ الجغرافيا رقم 1 الَّتِي وضعتها حكومة إسرائيل". (رفيق بكري، 2009).

لقد ورد في هذا الكتاب أنّه بعد مضي نحو 120 عامًا على بداية تغيير الأسماء العبريَّة في فلسطين إلى تسميات أخرى عبريَّة، تخدم الأهداف الَّتِي وضعتها الحركة الصُّهيونيَّة ودولة إسرائيل من بعدها، والَّتِي نجحت في عبْرته أكثر من 7000 اسم لمواقع فلسطينيَّة، منها أكثر من 5000 موقع جغرافيٍّ، وعدَّة مئات من الأسماء التَّاريخيَّة، وأكثر من 1000 اسم للمستعمرات.

جاء على الغلاف الأخير لهذه الدِّراسة:

الكتاب مرجع لا غنى عنه لكلِّ مهتمِّ وباحث في طبيعة فلسطين الجغرافيَّة والتَّاريخيَّة، يتناول مختلف المواقع والمدن والقرى بأسمائها العبريَّة الأصليَّة والتَّسميات العبريَّة الَّتِي أطلقها عليها الحركة الصُّهيونيَّة، ومن بعدها إسرائيل الَّتِي لا تزال مستمرَّة إلى يومنا هذا في عبْرته كلِّ ما هو عربي.. وهذا كلُّه تمَّ على يد لجنة كانت الوكالة اليهوديَّة ألفتها سنة 1922م لهذه الغاية، وهي تضمُّ حاليًّا 24 عضوًا من العلماء اليهود في شتَّى الاختصاصات، كما تشمل ممثِّلين عن بعض الوزارات المعنيَّة والوكالة اليهوديَّة والصُّندوق القوميِّ اليهوديِّ والجيش.

كتاب (زمكانية المسيحية في الأراضي المقدسة).

يتناول الكتاب الذي أصدره مركز الدراسات القروية الوجود المسيحي في فلسطين، من حيث المكان والزمان، ويؤرخ فيه شكري عراف للكنائس في الجليل، وهو كتاب فريد من نوعه من حيث المضمون، لم يتطرق إليه من قبل أي باحث بهذا العمق. ويقول مالك صلاحة (22/1/2006) إن "هذا الكتاب هو الحلقة الأولى في سلسلة مشروع متكامل يقوم المؤلف ببحثه وتوثيقه عن المقدسات والقرى وغيرها في البلاد المقدسة..."

ويشمل هذا المشروع كما جاء في المقدمة عددًا من الأبحاث:

1. دراسة وتوثيق الكنائس التي تستعمل اللغة العربية في بلادنا.
2. التّباتات في الكتاب المقدس، التّوراة والإنجيل على حدّ سواء.
3. المسيح (ع) حول بحيرة طبريا.
4. نساء وراء المسيح (ع).
5. الأديرة، القديم منها والحديث.
6. الكنائس والمعابد والمؤسّسات في باقي أجزاء الأراضي المقدسة.

وقد استند الباحث شكري عراف كعادته على دراسات عميقة ومستفيضة وجدّية، مستعينًا بالبحث والتنقيب والتّاريخ الشّفوي، واقفًا عن كُتب على كلّ أثر وموقع، مطلّعا على كلّ مستند ووثيقة وخريطة تقع تحت يديه... مؤثقا كلّ ذلك بالصُّور والخرائط الملوّنة لدعم دراساته، وقد بوّب الكتاب إلى أربعة أبواب:

1. الكنائس في الجليل.
2. تاريخ القديسين.
3. المطارنة
4. الجماعات الكنسيّة "الكتابيّة".

ففي الباب الأول وثق كل كنيسة في كل قرية وبلدة في الجليل مرتبًا إيّاها حسب الأبيديّة مرفقًا بدراسته عن كل كنيسة صورًا ووثائق تاريخيّة.

أمّا الباب الثّاني، فقد تطرّق فيه إلى تاريخ القديسين، خاصّة أولئك الذين عاشروا السيّد المسيح، عليه السّلام، وأكملوا مسيرته، كالسيّدة مريم العذراء (ع)، والقديس بطرس هامّة الرّسل، والقديس بولس رسول الأمم، والقديس يوحنا المعمدان، ويوحنا الإنجيليّ والقديسة تريزا، ولوقا الإنجيليّ والقديس جوارجيوس الملقّب بالخضر (ع) وغيرهم.

أمّا الباب الثّالث فقد أفردّه للمطارنة رؤساء الكنائس الذين تعاقبوا على خدمة الكنائس أو ما زالوا.. مرفقًا دراسته بالصّور الملوّنة والمعلومات القيّمة عن بعضهم.. أمّا الباب الأخير فقد خصّ به جماعات جديدة لم يتطرّق إليها أيُّ باحث من قبله حتّى الآن، هي الجماعات الكنسيّة الكتابيّة الّتي أخذت على عاتقها السّير على هدى ما جاء في الإنجيل المقدّس وتعاليم النّبّي المسيح وحواريّيه، دون الأخذ بكلّ التّعاليم والمراسيم الّتي سنّتها الطّوائف المسيحيّة المختلفة معتبرين أنّ كلّ ما لم يرد في الإنجيل وتعاليم المسيح ليس له أيُّ أحقيّة بالإيمان والسّير على هديه.

كتاب "لمسات وفاء"

وهو يتحدّث عن تشريد وتهجير الفلسطينيين عام 1948، في منطقة الجليل الأعلى، ومنطقة سهل الكرمل، ومرج ابن عامر، ويخصّ بالذّكر مدى المساعدات الّتي تلقّاها المُشرّدون من أهالي القرى والمدن المُضيّفة، وخاصّة القرى الدُرزيّة، وقرى طرعان، وكفر مندّا، وسخنين، وعرّابة، ودير حنّا، ومدينتي النّاصرة وشفاعمرو. ويقدر عرّاف عدد المُهجّرين بنحو 300 ألف لاجئ.

كتاب القرية العربيّة الفلسطينيّة

"هذا الكتاب يدرس مبنى القرية العربيّة الفلسطينيّة، واستعمالات الأراضي، وولادات بعض القرى ووفيات أخرى، وتعداد سكّان كلّ قرية، من سنة 1956 إلى سنة 1995، يوم إصدار الكتاب، والقرى التي دُمّرت، والمستوطنات التي أُقيمت على أرضها" (مازن شمّا، 05.01.2008).

كتاب الأرض والإنسان والجهد

تمّ إصداره عام 1982 ورسم على غلافه صورة للمحراث والسُّلم والرُّمح. "هذا الكتاب يتحدّث عن نقطة العرق التي تصبّبت من جسم ومن جبين الفلاح الفلسطينيّ لكي يجيل التُّراب بها وينتج أنماط حياة معيّنة... ويظهر فيه (جناح الإنسان وعمله) وهو عبارة عن معرضي القائم في متحف إسرائيل.. في هذا الكتاب وضعت الأشياء كما هي بالصُّور، أنظر مثلاً إلى الكتاب.. هذا جُهد الحيوان، وإذا فتحنا صفحة أخرى في الكتاب، هنا نتحدّث عن التّبيد والزّيت، وإذا قلبنا الصّفحة التّالية نجد وسائل النّقل المختلفة على الجمل على الحمار على البغل إلخ. بمعنى آخر أنا حاولت توثيق حضارتنا المادّيّة عن طريق جمع الآثار وزيارة كافّة الأماكن الأثريّة من أجل نقل الحضارة للأجيال القادمة. (رفيق بكري، 2009).

كتاب.. الأرض والإنسان والجهد للباحث الموسوعي الدُّكتور شكري عرّاف.. عرض وهو الكتاب الأوّل من نوعه في البحث عن الحضارة المادّيّة باللُّغة العربيّة في العالم العربيّ، أشار الدُّكتور سامي مرعي في مقدّمته للكتاب: "أنّ التُّراث المادّيّ هو عبارة عن أنماط الممارسة الحياتيّة من خلال وسائل العيش والتكّيّف للبيئة المادّيّة التي تحيط بنا، وهو أيضاً ركيزة من ركائز الوجود المعنويّ للإنسان الفرد والمجموعة، وهذا الكتاب يتميّز بالدقّة والموضوعيّة والتّحليل للشخصيّة الجمعيّة للدّات العربيّة

الفلسطينية، والبحث عن التراث بأبعاده المختلفة من أجل إعادة اكتشافه، وهو شرط ضروري لتجدد الشخصية الحضارية والوطنية. لأن هذا التراث نما على أرض الوطن". (شكري عراف، 1982، 5).

تناول الباحث عدة موضوعات مستقلة، منها لقمة الخبز التي تشكّل وجبة الفقراء وكثيري الأولاد في كل مجتمع، وإن طبخ فهو تتبيل اللقمة وتطيرتها، وأشار إلى عملية الزراعة وأدوات الحصاد. أمّا الموضوع الثاني عن الملح، والإنسان يملح طبيخه وعجينه، وأنّ منطقة الشيخ زويد قرب رفح هي مصدر للملح في بلادنا. ثمّ تحدّث عن الزيتون، "وأنّ الرومان هم الذين غرسوا الزيتون في بلادنا، وبعض المناطق تحمل اسمه تبرُّكًا به مثل عين الزيتون وذكر استعماله في الدواء والصّابون والجفت للتدفئة والطّابون. ثمّ أشار إلى الكروم التي تشمل العنب وانتشاره وزراعته وحراسة الكروم وقطفه، وتغطية الدوالي في المواسم الصيفيّة، وعصيره، ثمّ أتبع ذلك بصوره، ثمّ تحدّث عن التين، والنخيل وأنواعهما واستعمالتهما.

أمّا المياه وما شكّلته في الصُّخور من أجران وزحارح وجحاييف وفحيرة وبصّة، ومغروطرق توزيعها وجمعها وحفر الآبار والبرك، وأدوات رفع الماء من شادوف وشلاف ووصول الماء بقوة الجاذبيّة أو قوّة عضلات الإنسان أو الحيوان وصناعة المشتيل: "الذي يشبه الخرج تحمل فيه أوعية فخاريّة كالجرار خوف اصطدامها بأجسام قاسية" من أغصان العبر والزيتون والسريس "وأنّ آباءنا تركوا لنا تراثًا ماديًا زاخرًا بالنفع ماديًا وغيبيًا تجدر بنا دراسة كل جوانبه" صفحة 90.

كما درس أصحاب المهن كالحدّاد الذي يصنع أدوات الحرث والنكش والحطب والدفاع عن النفس والحصاد والبيدر والحدائق، وأدوات البيت والحيوان والرعي والنقل والنجار العربي والنحاس والسّمكري والنسّاج والخياط والسروجي والإسكافي والفاخوري والحصري والصّانع والصيّاد والحلاق والعامل الأجير والمرباعي والكروي

والنَّاطور وأتبعها باثنتين وثلاثين صورة ملوَّنة، حيث الصُّورة أبلغ من الكلام. وللحيوان نصيب من الدِّراسة وما يتعلَّق بالدَّاشورة وهي: "قطع القرية من الحمير والبغال والخيول والجمال والحصان والجاموس والماعز والغنم، وأورد أسماء الحيوانات حسب العمر والنَّوع من سَخْل وطُي وحُور وشُولي ودغلي وقاعود وعَنزة وكَبش وتيس وعالول وكُرَّاز، وللطُّيور والحشرات والنَّحل مجال في دراسته: "ومن الغريب أن تكون العناية بالنَّحل من أعمال النِّساء كالرِّجال في مجتمعنا، فهنَّ بانيات الخلايا وقاطفات العسل رغم لسع النَّحل لهنَّ".

أمَّا الأرض الوَعَر وما لها من نباتات من سِنديان وبُطم وعمَّهر وغار وسُويد ودِفلة وقَيْقَب وحُور وصَفصاف وشَبْرَق وسِدْر وزَعْرور وعُليق وبِلَّان وأحراج، ونادى "بأهمِّيَّة الحفاظ على الأحراج لمصلحة الجميع"، ولنعيدها إلى سفوحنا الخضراء ولتصبح الأشجار بما تصدِّره من أكسجين في النِّهار رئة صِحِّيَّة في عصر يتزايد فيه تلوث البيئة نتيجة الثَّورة الصِّناعيَّة الَّتِي نمرُّ بها وتعصف بنا". صفحة 161.

ثمَّ الأوزان والمقاييس والمكاييل من جَرَّة وبِقْلولة وكُوز وفِنجان وصاع وتَنكة وكَيْلَة وطاسة ومغطاس وإصبع وقيراط وذراع وقامة، وعادات زراعيَّة بتوضيح رزنامة الفلاح الفلسطينيِّ من سَعَد ذابح وسَعَد بَلع وسَعَد السُّعود وسَعَد الخبايا، وطريقة حرث الأرض بالسِّكَّة والقَدَّان والبُلُّك: "العود الحديديُّ له سَكَّتَان ويجرُّه فرسان أو بغلان".

كتاب المثل الشَّعبي بين المتحفِّيَّة والاستمراريَّة

الكتاب من إصدار مركز الدِّراسات القرويَّة، 1996، معليا. ويرصد فيه مجموعة كبيرة من الأمثال الشَّعبيَّة الفلسطينيَّة، فيتطرَّق لأصولها، وقصصها، ومعانيها. وهي تظهر أخلاق وعادات الفلسطينيين تجاه المواضيع الَّتِي تتطرَّق إليها الأمثال. مثل

العائلة، والزَّواج، والتَّسامح، والمال والبنون، والتَّعامل مع المرأة، وغير ذلك من أخلاقيَّات المجتمع.

بعد هذا العرض الموجز لبعض من مؤلَّفات المؤرِّخ الموسوعي د. شكري عرَّاف، لا بدَّ من الإشارة إلى الملاحظات التَّالية:

- جميع الكتب مرَّتبة حسب فصول، أو أنَّها تحتوي تصنيفات أخرى.
- يعتمد المؤلِّف على منهج البحث العلميِّ، ويستعين بمصادر وصور لإثبات الرواية الفلسطينية.
- يقوم المؤرِّخ بمقابلة أشخاص لهم صلة بموادِّ بحثه، ممَّا يغني مؤلَّفاته، ويجعل لها مصداقيَّة شعبيَّة وعلميَّة.
- يتطرَّق الباحث إلى كلِّ ما يمكن أن يثبت روايته، من جماد، وحيوان ونبات وإنسان، ممَّا يضيف رونقًا وجمالًا لروايته، وتشوُّقًا للتراث الفلسطينيِّ الغنيِّ بالأسماء لجميع هذه المكوِّنات. كما يستعين بالصُّور والخرائط.

تراث لا يقتصر فقط على الكتب

يذكر د. إدريس جرادات (د. ت) أن د. شكري عرَّاف قد ألقى آلاف المحاضرات في القرى والبلدات والمدن العربيَّة واليهوديَّة، وشارك بأوراق عمل في عدد من المؤتمرات والأيام الدِّراسيَّة، منها:

1. مؤتمر الفكر الفلسطينيِّ في الناصرة.
2. مؤتمر الفكر الفلسطينيِّ الثَّاني في الناصرة.
3. أيَّام دراسيَّة حول مونوغرافيَّة القرى والمدن العربيَّة في البلاد.
4. مؤتمر السِّياحة الفلسطينيِّ في القدس، 700 سنة على خروج آخر صليبيِّ من عكا، 200 سنة على وفاة ظاهر العمر - حاكم الجليل- في عكا، 200 سنة على

- وفاة عقيلي آغا الحاسي/ حارس الجليلين في القرن الثامن عشر في عبّين، 200
سنة على وفاة أحمد باشا الجزائر في عكا.
5. المشهد الفلسطيني الرابع في جامعة بيرزيت.
 6. المشهد الفلسطيني الخامس في جامعة بيرزيت.
 7. إحياء ذكرى الأربعين لمدير كلية الآثار في جامعة بيرزيت.
 8. الجليل فسيفساء الشعوب والديانات /كلية تل حاي /الحولة.
 9. كما عمل على إقامة متاحف ومعارض تراثية، ونظّم رحلات في معرفة مواطن البلاد، وله من الكتب: متحف البلاد في تل أبيب - جناح الحضارة المادية متحف يجال ألون- جينوسار - حيث أقام نماذج للقرية العربية الفلسطينية هناك مع حوسبة هذه القرى، مشروع المياه - رجباً- يمثل تاريخ المياه في البلاد، عشرات معارض التراث في القرى/المجالس البلدية والمدارس.
 10. مئات الرحلات والجولات التعليمية لمعلمي ومديري المدارس العربية واليهودية، للمسنين وللشباب ولكل مهتم. إرشاد علمي لكتب حول إكسال، بيت جن وغيرها.
 11. استشارة لمتحف إسرائيل، في الشؤون الإثنوجرافية-خاصة ما يتعلق بالحضارة العربية، عضولجان مناهج لمواضيع: الجغرافية والحضارة العربية والإسلامية.
- لقد كان شكري عراف من المشاركين الأساسيين في إقامة الجناح الفلسطيني بمتحف إسرائيل "أنا لا أخجل أن أقول إنني واحد من الي أسسو متحف إسرائيل. جاءني (شمونيل أبي تسور) تلميذي سابقاً ومعلمي لاحقاً وقال لي: بدنا نجمع التراث المادي لهذا الشعب.. قلت له: أي شعب تقصد؟... صار يتأتى ويقول: آ آ.. المهم في الأمر إنو هذا الرجل هو الذي أوجد وخلق البطل عند اليهود اللي اسمو (الحضارة المادية)... هذا الأمر أثارني وحقّزني لإصدار كتاب (الأرض والإنسان والجهد). اليوم في

إشي إسمو بيت شموئيل أبي نُسور في متحف إسرائيل بالقرب من اليركون، هناك يمكنك الدُخول على قسم (الإنسان وعمله) ويتلاقى أدوات كثيرة بسنْ شكري عرّاف جمعها" (رفيق بكري، 2009).

كما قام بتخطيط وتنفيذ مبنى ومحتويات القرية الفلسطينية الموجودة في متحف جينوسار في بيت يجنال ألون، "أنا أعطيت الطّابق الثالث عن القرية العربيّة ومبناها بشكل مجسّد لكلّ قرى الجليل ومحوسّبة أيضاً" (رفيق بكري، 2009). وهو اليوم بصدد إقامة متحف فلسطينيّ محليّ في قرية معليا مسقط رأسه، وهو يوصي بإقامة المتاحف المحليّة في كل قرية ومدينة فلسطينيّة.

تكريمه

- أوّل تكريم يذكره الدكتور شكري عرّاف له كان عام 1993، على يد الحركة الإسلاميّة، على أثر صدور مؤلّفه، "طبقات الأنبياء والأولياء الصّالحين في الأراضي المقدّسة"، وقد تمّ عقد الاحتفاء بتكريمه في قاعة دار القرآن، الواقعة في كليّة الدّعوة الإسلاميّة بأبّ الفحم، وهو يعتبر هذا التّكريم على أنّه أضخم تكريم عقد له في حياته "هو أوّل تكريم ذي بال وذو أثر إيجابيّ في نفسي كإنسان عربيّ غير مسلم (مسيحي)، بل أنا أعتبر تكريمهم لي كان كبيراً جدّاً وضخماً جدّاً في استطاعته أن يخترق هذه الحواجز الدّينيّة، وأن يتمّ تفهّم الآخر ومجهود الآخر، لأنّ ذلك يصبّ في مصلحة الجهد العربيّ الفلسطينيّ الإسلاميّ" (منتدى نور الأدب، 2008).

ويأتي اهتمامه بالتّراث الإسلاميّ، لأنّ التّراث الإسلاميّ "التّراث الإسلاميّ: تراث عالميّ أثرى عالم العصور الوسطى وعالم عصر النّهضة في أوروبا، وكان له أكبر الأثر على تطوّر الحضارة العالميّة، والغربيّة منها بشكل خاصّ، أضيف إلى ذلك أنّ هذا التّراث الّذي ما زالت جوانب منه عديدة جدّاً وهامّة، مخزونة في متاحف العالم وعلى أدراج مكاتبته، بحاجة إلى مراجعة ودراسة... كما أنّي تربّيت على الحضارة

الإسلامية ودرست الفقه الإسلامي في الثانوية وأشعر أنه لا عروبة بدون الإسلام وأنا عربي (د. إدريس جرادات، ب. ت).

- تكريم في معليا

- تكريم من الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة-للنشاطات العلمية والاجتماعية، تكريم من المجلسين المحليين-عسфия ودالية الكرمل، تكريم من بلدية حيفا-إثر اجتماعات رؤساء الأديان في بيت الكرمة.

- تكريم من مؤسسة الأسوار في عكا-إثر عقد ثلاثة أيام دراسية حول: "700 سنة على خروج آخر صليبي من عكا وفلسطين، و200 سنة على وفاة المرحوم ظاهر العمر الزيداني، و200 سنة على وفاة المرحوم أحمد باشا الجزائر.

لقد كتب شكري عراف عن الحجر، وعن النبتة وعن الإنسان في فلسطين، وما زال يتركب على دراسة نواحي أخرى لم يتم التطرق إليها بعد، فيجيب على سؤال وجه له (عمر راشد، 2013)، حول الكتب التي ما زالت تحت الطبع: "أعكف في هذه الأيام على إنجاز كتاب «تاريخ المساجد في فلسطين»، وكتاب «المستوطنات اليهودية من عام 1878 إلى اليوم»، وكتاب «مصادر الأسماء الفلسطينية تاريخياً»، وكتاب «موسوعة المياه الفلسطينية».

المراجع:

- الجمعة، 21 أيار 2010 15:45:23: المؤرّخ الفلسطينيّ شكري عرّاف في زيارة لمقرّ الهيئة الإسلامية المسيحيّة، صحيفة كَلِّ العرب، <http://www.alarab.net/Article/301461>
- شَمّا، مازن. (05.01.2008): الأديب والباحث شكري عرّاف، منتدى نور الأدب، <http://www.nooreladab.com/vb/showthread.php?t=685>
- عنبتاوي، ربي. (حزيران 2012): الباحث الموسوعيّ د. شكري عرّاف يتحدّث عن الطّبيعة، السّياسة وفلسطين، آفاق البيئة والتّنمية، مجلّة إلكترونيّة، 45، مركز العمل التّنمويّ/ معًا، <http://www.maan-ctr.org/magazine/Archive/Issue45/topic8.php>
- جرادات، إدريس. (21-09-2010): قراءة في كتاب.. الأرض والإنسان والجهد للباحث الموسوعيّ الدّكتور شكري عرّاف- عرض، دنيا الرّأي، <http://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2010/09/21/209940.html>
- عرّاف، شكري نخلة. 1931، دائرة المعارف الفلسطينيّة، مركز السّنابل للدراسات والتّراث الشّعبيّ، <http://ency.najah.edu/taxonomy/term/29>
- (2012/1/17): التّراث في منظار فاروق مواسي، ومساهمته فيه، الكلّ، <http://www.alkul.com/article.aspx?page=1&article=7911>
- بكري، رفيق. (07.07.2009): لتوثيق الذّكرة الفلسطينيّة ومخاطر إلغاء الجغرافيا (لقاء مع شكري عرّاف). ملتقى أجراس العودة، <http://ajrasal3awda.ahlamontada.net/t2991-topic>
- راشد، عمر. (أيلول 2013): الباحث الموسوعيّ الفلسطينيّ الدّكتور شكري عرّاف: يجب على كل لاجئ فلسطينيّ دراسة الجذور دراسة علميّة موقّعة، عمل اليهود منذ أكثر من قرن على طمس أسماء الأماكن الفلسطينيّة، مجلّة العودة - مجلّة فلسطينيّة شهريّة - العدد الثّاني والسّبعون - السّنة السّادسة. <http://www.alawda-mag.com/Default.asp?ContentID=21&menuID=19>
- صلاحية، مالك. (2006/1/22): رحلة في جديد د. شكري عرّاف (زمكانيّة المسيحيّة في الأراضي المقدّسة)، الجبهة، <http://aljabha.org/index.asp?i=17654>
- (الثلاثاء 2013/10/29): قوّة الحقيقة في دوامها وثباتها، الجبهة، <http://www.aljabha.org/?i=80241>
- مواسي، فاروق. عن المثل الشّعبيّ الفلسطينيّ، بيتنا، <http://bettna.com/books/showa.ASP?aid=215>